

الدبلوماسية العامة، بين التنظير والتطبيق: دراسة للنموذج الأمريكي

The Public Diplomacy; between Theorization and application: a study of the American model



بوسعيد عبد الحق¹*

¹ جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر

abdelhakdip@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2025/03/13 تاريخ القبول: 2025/05/05 تاريخ النشر: 2025/06/01

ملخص:

تعالج هذه الدراسة التحديات التي تواجهها الدبلوماسية العامة وما يرتبط بها من إشكاليات، وذلك عبر البحث في مستويين رئيسيين. الأول، يُعنى بتبيين أهمية بناء نموذج نظري متماسك للدبلوماسية العامة، بما يساعد الدول على إدارة مصالحها في البيئة الدولية المعقدة. أما المستوى الثاني، فيبحث في تجربة الدبلوماسية العامة الأمريكية، باعتبارها نموذجا رائدا ومؤثرا في العالم، يشمل البحث في هذا الجانب معالجة معضلة اصطدام المصالح الحيوية والاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية مع منظومة القيم التي تروج لها.

الكلمات المفتاحية: الدبلوماسية العامة؛ القوة الناعمة؛ القوة الصلبة

Abstract:

This study addresses the challenges facing public diplomacy and its related complexities, This is achieved through research at two main levels The first level, focuses on demonstrating the importance of building a cohesive theoretical model for public diplomacy, which helps countries to manage their interests in the complex international environment. The second level examines the experience of American public diplomacy, considering it as a leading and influential model globally, Research in this aspect includes addressing the dilemma of the clash between the vital and strategic interests of the United States of America and the system of values it promotes.

Key words: the public diplomacy; the soft power; the hard power

مقدمة:

يعد تناول موضوع "الدبلوماسية العامة" امتداد للنقاش الدائر حول أهمية الدبلوماسية كآلية للاتصال الدولي، وإحدى أدوات تفعيل قوة الدول وإدارتها، وهي تطور طبيعي للدبلوماسية التقليدية، فقد انتقلت الأخيرة من أداة للاتصال غير المنظم والمُنْتَظَم إلى إطار رسمي للاتصال الدائم، وترافق ذلك مع نقاشات تناولت الأفكار التي تسعى لبناء أحسن النماذج للدبلوماسية الناجحة. ولعل من أهم العوامل التي تؤثر في عملية تطور الدبلوماسية هو التحولات التي تحدث على مستوى البيئة التي تعمل فيها.

في هذا الصدد يمكن أن نلاحظ أن الدبلوماسية، تأخذ اليوم نمطين رئيسيين متباينين نظريا ولكنهما متكاملين عند وضع الأهداف الكلية للدولة. الأول، يخاطب النظراء من الدول عبر المؤسسات الرسمية التي تمثلها، وذلك وفق ما يسمح به النظام الدولي من مسارات تفاعلية. أما النمط الثاني، والذي يمثل نموذجا لما يمكن أن تفرضه التحولات التي تحدث في البيئة الإستراتيجية الدولية على شكل وأسلوب وأهداف الدبلوماسية، فقد خلقت البيئة الإستراتيجية الجديدة بعد الحرب العالمية الثانية واقعا دوليا مختلفا، من أهم مؤشرات التطور الكبير في وسائل الاتصال، وبروز فواعل جديدة عابرة للدول، والتي تعاظمت سلطتها وتأثيرها في تحديد شكل وكيفية ممارسة الدبلوماسية، وقد صيغ لهذا النمط الجديد من الدبلوماسية، عبارة "الدبلوماسية العامة"، والتي تُعنى بمخاطبة الجمهور في الدول الأخرى، بما يُمكن من التأثير في صانعي القرار خدمة لمصالح الدولة المُخَاطَبة، عبر استخدام مُنظم لمحتوى القوة الناعمة للدولة. جاء نهج الدبلوماسية العامة في سياق النقاش الدائر حول فشل مختلف مكونات القوة الصلبة لاسيما العسكرية منها في تحقيق كل أهداف السياسة الخارجية، بل يمكن أن تقوض هذه القوة الأهداف المرجوة منها تحقيقها في حالة ما إذا أُسيء استخدامها. إن اعتماد الدول على القوة الصلبة في تحقيق أهدافها فرضية أساسية في البناء النظري الواقعي، والذي سيطر على حقل العلاقات الدولية فترة طويلة، إلا أنه تعرض لعدة انتقادات، بالرغم من الاعتراف بقوته التفسيرية. فالخبرة التاريخية أثبتت أن هذا الاتجاه التنظيري بقي قاصرا عن الإجابة عن كل الأسئلة المتمحورة حول سبب عجز القوة الصلبة في تحقيق كل الأهداف المرجوة منها.

بالرغم من أن الدبلوماسية العامة تُتناول كجزء من النقاش العام الدائر حول البحث عن أفضل الأدوات لإدارة العلاقات الدولية، إلا أن هذا لا يمنع من أن تكون موضوع قائم بذاته له مفاهيمه الخاصة، ونسق تطوره التاريخي، وأساليب تفاعله في البيئة التي يعمل فيها. ارتبطت الدبلوماسية العامة من منظور تاريخي بتحقيق أهداف الدول ومصالحها بغض النظر عن شكل تنظيمها السياسي المتغير عبر الزمن، فمنذ العصور القديمة لم يغفل الملوك والأمراء عن تصدير صورة الهيبة والمكانة عن أنفسهم وبلدانهم، كما لم يغفلوا عن المخاطر الناجمة عن توجهات الرأي العام في البلدان الأخرى، غير أن الطفرة النوعية التي شهدتها

الدبلوماسية العامة في العصر الحديث ارتبطت بالولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها دولة رائدة في هذا المجال، من حيث النطاق، والأسلوب، والقوة، دون أن يعني ذلك أن باقي الدول لم تكن في حالة مواكبة لهذا التطور، إلا أن ما يجعل الولايات المتحدة متفردة هو احتفاظها بمركب القوة الشاملة لمدة طويلة ومستمرة لغاية اليوم، بما مكنها من احتلال موقع مركزي في إدارة العلاقات الدولية. لقد قدم لنا نموذج الدبلوماسية العامة الأمريكية مثال واقعي عن أهداف الدبلوماسية العامة ونسق تطورها وأساليب عملها والبيئة التي تعمل فيها وما يمكن أن يعترضها من صعوبات.

ارتبط ظهور الدبلوماسية العامة الأمريكية بظروف تشكل الدولة الأمريكية في القرن السادس عشر وبروزها كفاعل في العلاقات الدولية. إن ما يميز الدبلوماسية الأمريكية هو الطابع المؤسسي الذي بدأ في التشكل ابتداء من مطلع القرن العشرين، حيث تم تبني أول إطار مؤسسي لعملها والمتمثل في انشاء ما سمي بـ: "لجنة الولايات المتحدة للمعلومات العامة" في عام 1917، بهدف الدعاية لأهداف وممارسات الولايات المتحدة في الحرب العالمية الأولى، وفي عام 1965 تم صياغة مفهوم "الدبلوماسية العامة" باعتباره حقلاً أكاديمياً في الولايات المتحدة الأمريكية، حقق تقدماً كبيراً على المستوى النظري وكذلك على مستوى الممارسة طيلة القرن العشرين. مثلت أحداث 11 من سبتمبر تحولاً لافتاً من حيث تشعب ممارسة الدبلوماسية العامة، وازدياد أهميتها الإستراتيجية ضمن أدوات تحقيق أهداف السياسة الخارجية الأمريكية. تطرح التقييمات التي تؤكد على الصعوبات التي تعمل في ظلها الدبلوماسية العامة الأمريكية عدة أسئلة متعلقة بمدى قدرتها على التأثير في الجماهير الأجنبية وإقناعهم بمحتوى قوتها الناعمة، في ظل تناقضها المتزايد مع التوظيف الواسع للقوة الصلبة في سياستها الخارجية. يمثل هذا التناقض معضلة حقيقية تعيق تشكل رؤية متكاملة للسياسة الخارجية الأمريكية من حيث التوفيق بين توظيف أدوات القوة الصلبة والناعمة في استراتيجية واحدة.

يبين هذا العرض الموجز للمفاهيم المرتبطة بالدبلوماسية العامة مدى ترابطها وتشابكها عند تناول إشكالية تحديد مفهوم الدبلوماسية العامة بشكل عام، والدبلوماسية الأمريكية على نحو خاص وما يرتبط بها من صعوبات في الممارسة. وهو الأمر الذي يمنحنا شرعية محاولة الإجابة عن السؤال المركب الآتي: كيف يمكن أن نحدد مفهوم الدبلوماسية العامة في سياق تطورها النظري ومسارها التطبيقي؟، وإلى أي مدى يمكن للدبلوماسية العامة الأمريكية أن تتجاوز معضلة التوفيق بين متطلبات القوة الناعمة وضرورات القوة الصلبة؟

يمكن معالجة إشكالية موضوع هذه الدراسة عبر مناقشة أسئلتها من ثلاث زوايا أساسية. تشمل أولاً: تحديد مفهوم القوة الناعمة، وما يرتبط بها من سياقات. ثانياً: البحث في خصائص وأهداف مفهوم الدبلوماسية العامة. وأخيراً: محاولة تقديم نموذج عملي لكيفية عمل الدبلوماسية العامة في الواقع من

خلال الكشف عن أهم التحديات التي تواجهها، عبر دراسة مسارات تطور الدبلوماسية العامة الأمريكية، وما تعانيه من تناقضات عند الممارسة الفعلية.

المبحث الأول

مفهوم القوة الناعمة: (السياق، والتوظيف)

في البداية لابد من الإقرار بأن مفهوم "القوة الناعمة" هو مفهوم صعب ومركب، ولعل إحدى أهم الطرق لتشكيل رؤية متكاملة عنه، هو تفكيك مفهوم "القوة" في حد ذاته، والذي لا يقل عنه صعوبة. إن مفهوم القوة يُفهم بطرق مختلفة تبعاً لتعدد مدارس العلاقات الدولية. هذا التنوع يعني أنه من الصعب إيجاد ذلك الرابط بين محتوى القوة ونطاقها ونمط تفاعلها، مما يجعل من المستحيل تقريباً الاتفاق على تعريف موحد. إن مفهوم القوة نفسه غامض ويعمل في سياق كلمات أخرى، مثل، الفاعلية، والإكراه، والنفوذ أو التأثير. والقوة لا تعني بالضرورة استخدام الوسائل القسرية أو التهديد باستخدامها، بل تؤكد على الإمكانيات باعتبارها سمة مميزة للقوة، والإرادة باعتبارها عاملاً نفسياً يمكن من خلالها تحويل القوة الكامنة إلى إمكانية حقيقية للتفاعل، بما يُمكن الدولة من تغيير سلوك الدول الأخرى¹ وتحقيق أهدافها في النظام الدولي.

إن صعوبة حصر مفهوم القوة في السياسة الدولية، ينعكس بالضرورة على حصر موضوع مفهوم "القوة الناعمة". ومن أجل محاولة وضع توصيف شامل لمفهوم القوة الناعمة في السياسة الدولية، من الأهمية بمكان أن نؤكد على ضرورة التمييز في البداية بين القوة الصلبة والقوة الناعمة، على الرغم من أن كلاهما مرتبطان بتحقيق النتائج المرجوة على الساحة الدولية². انعكس هذا التباين بين المفهومين على النقاشات والجدل الكبير المتمحورين حول إمكانية رسم حدود فاصلة بين القوة الصلبة والقوة الناعمة ومختلف التفاعلات التي يمكن أن تحدث بينهما في أرض الواقع، من حيث أسلوب تحقيق الأهداف وحدود التأثير في النتائج. من هذا المنطلق يمكن مناقشة هذه المسألة بفحص الخلفيات الفكرية والعملية لكلٍ من المفهومين قصد فهم السياق الذي ظهر فيه مفهوم القوة الناعمة، وقياس حدود تأثيرها في النظام الدولي. في هذا الإطار يمكن البدء أولاً بمناقشة مفهوم القوة الصلبة، وهو مفهوم مبني على الرؤية التقليدية للقوة التي سادت بين علماء السياسة الدولية. لقد تبني الواقعيون المفهوم الصلب للقوة والذي يدور حول فكرة

¹Robert ŁOŚ, Power Of The State: A Theoretical Approach, **Historiai Polityka, Papers**, (N04) (49) (2022) p70

²Karol Bieniek, Özgün Erler Bayır, Public Diplomacy and Soft Power In Polish Foreign Policy Making, **Journal Of Political Sciences**, 31, Special Issue On Polish Foreign Policy In 21st Century (2022), p62

استخدام الدول "للموارد المادية" للتأثير على الدول الأخرى، وهي رؤية تتوافق مع رؤية كبار الواقعيين المعاصرين مثل "جون ميرشايمر-John J. Mearsheimer" و"كينيث ل والتز-N Kenneth Waltz". بالنسبة "لميرشايمر"، تعتمد القوة على القدرات المادية التي تمتلكها الدولة، والتي تحددها على نحو أساسي ولملموس القوة العسكرية¹، ومن جهة أخرى حاول "التز" وضع معايير محددة لقياس قوة الدولة، وحصرها في خمسة مؤشرات وهي: عدد السكان والمساحة الجغرافية، والموارد الطبيعية، واستقرار النظام السياسي، وحجم القوة العسكرية. يمكن ملاحظة أن قائمة مؤشرات القوة الصلبة مفتوحة، كونها وفق رأي الدبلوماسي والمحامي الألماني "مايكل شيفر-Michael Shaver" (تختلف تبعاً لتطورات الزمن)². إلا أنه يمكن تلخيص عوامل القوة الصلبة بإيجاز، أنها في الأساس "عسكرية واقتصادية"³.

تكمن الفائدة من توظيف موارد القوة الصلبة، سواء في استخدامها الفعلي الواضح أو الرمزي (أي التهديد)، في صد أعمال القوة للأعداء، ويمكن استخدامها لإجبارهم على الخضوع. وهي الضمانات التي لا يمكن أن تمنحها مصادر القوة الناعمة فهي لا تحمل مثل هذه الضمانات، وبالتالي بالنسبة للواقعيين، يجب على كل دولة قادرة بالفعل على نشر جيشها أن تفعل ذلك، حتى لو كان الاعتماد على القوة الناعمة قد يقلل من احتمال وقوع هجوم عسكري⁴.

لا شك أن النظرية الواقعية أثبتت قوتها التفسيرية لسلوك الدولة في المجال الدولي، إلا أن هناك من علماء السياسة من انتقدوا هذا الغلو في تبني هذه النظرية كمقاربة تفسيرية وحيدة، دون نفي أهميتها، وكان من أبرز هؤلاء أستاذ العلوم السياسية الأمريكي "جوزيف صموئيل ناي-Joseph Nye"، الذي اعترف بدور القوة الصلبة في العلاقات الدولية وفق ما جاءت به الواقعية، إلا أن هذا في اعتقاده غير كاف. فنحن بحاجة لمحتوى من نوع آخر للقوى لا يقل أهمية في فهم مختلف التفاعلات الدولية⁵، صاغ له مفهوم جديد أطلق عليه "القوة الناعمة"، والذي يعتمد في أسلوب عمله على "التأثير على الآخرين للحصول على ما نريد باستخدام قوة الجذب والإقناع بدلاً من الإكراه أو الإجبار للوصول للنتائج التي نريدها". ويتغذى محتوى هذا المفهوم بمواضيع ترتبط بـ ، التاريخ والرياضة والأدب والموسيقى⁶ والسينما والتعليم، ووسائل الإعلام المكتوبة والمرئية، والهندسة المعمارية، والتعليم العالي (الجامعات ومراكز البحوث، وما إلى ذلك)، والمنظمات

¹Giulio M. Gallarotti, **Soft Power: What It Is, Why It's Important, And The Conditions For Its Effective Use, International Relations: A Synthesis Of Realism, Neoliberalism, And Constructivism** (Cambridge University Press, 2010), p06

²على بكر، نحو إطار نظري في صناعة القوة الناعمة، سياسات عربية العدد 53، المجلد 9، (نوفمبر 2021) ص 67

³Atif Çiçek, A, Soft Power, Public Diplomacy And Public Diplomacy Techniques: A Conceptual Evaluation, **Turkish Business Journal**, 2717-848x (2022), p106

⁴Giulio M. Gallarotti, op cit, p08

⁵Joseph S. Nye, Soft Power: The Evolution Of A Concept, **Journal Of Political Power**, Taylor & Francis Group (10 Feb 2021), p 05

⁶Karol Bieniek, op cit, p63

غير الحكومية، والبنية التحتية للعلوم والتكنولوجيا والقدرة على الابتكار، والسياحة، ومنصات التعاون الاقتصادي والدبلوماسية¹، إلى جانب القيم السياسية².

كانت القضية السياسية التي أثارت اهتمام "ناي" هي كيفية الرد على وجهة النظر السائدة التي تقول بأن القوة الأمريكية في حالة تراجع، وفق ما جاء في كتاب "بول كينيدي" الموسوم بـ: "صعود وسقوط القوى العظمى" الصادر عام 1987، حيث كان من أبرز الأعمال العلمية التي زعمت أن الولايات المتحدة تعاني بما يسمى بالتوسع الإمبراطوري المفرط وأن قوتها في تراجع. ناقش "ناي" الأفكار الواردة في هذا الكتاب في عديد من المنتديات السياسية، ولكن النقاش الحقيقي لأفكار "كينيدي" جاءت في كتابه الموسوم بـ: "حتمية القيادة: الطبيعة المتغيرة للقوة الأمريكية" الصادر عام 1990: موضحا سبب خلافه معه. قام "ناي" في البداية باستعراض موارد القوة الأمريكية التقليدية، الاقتصادية والعسكرية، ولكن مع ذلك يشعر الأمريكيين أن هناك شيئا ما لا يزال مفقودا، فالولايات المتحدة الأمريكية رغم ضخامة مواردها المادية لا زالت غير قادرة على الحصول على النتائج التي تريدها من حيث أنها قوة جذب وليس مجرد قوة قائمة على التهديد والإكراه. من هذا المنطلق جاء الدافع الذي جعل "ناي" يبحث في محتوى آخر للقوة غير القوة الصلبة وهو ما أطلق عليه "القوة الناعمة"، حيث حاول فهم أصولها وطبيعتها وأبعادها. ولتبين أهمية القوة الناعمة، قدم "ناي" مثالا تاريخيا عن أهمية القوة الناعمة، ففي عام 1991، كان هناك خوف كبير ومبالغ فيه من القوة السوفياتية، فقد شهدت فترة الثمانينيات استقرارا في هيكل النظام الدولي الثنائي القطبية، من حيث التوازن في مصادر القوة الصلبة التي أكد عليها "والترز"، ليتبين فيما بعد أنها وهمية جزئيا بسبب أوجه القصور في التخطيط الاقتصادي المركزي، ولكن أيضا بسبب فقدان القوة الناعمة السوفياتية. لقد قوض الاتحاد السوفياتي قوته بسبب اعتماده فقط على القوة الصلبة المتمثلة في القوة العسكرية، فرغم قدرته على تثبيت ما يسمى بـ "الستار الحديدي" الذي قسم أوروبا إلى قسمين، فقد تبددت النتائج الإيجابية التي حصل عليها في البداية والنتيجة عن الإعجاب الشعبي لمقاومة الشيوعية لهتلر وللفاشية، بسبب الاستخدام المفرط للقوة في مواجهة الثورات التي وقعت في المجر عام 1956 وتشيكوسلوفاكيا عام 1968. وكانت النتيجة في نهاية المطاف انهيار جدار برلين³. لم تكن تناقضات الأوضاع الداخلية في الاتحاد السوفياتي أو الاستخدام المفرط للقوة الصلبة في الخارج خلال سنوات الحرب الباردة هي الأسباب الوحيدة التي أدت لفشله في تحقيق أهدافه ومن ثمة انهياره، فقد واجه الاتحاد السوفياتي هجوما أمريكيا لم يقتصر على استخدام القوة الصلبة-دون التقليل من أهميتها-بل شمل أيضا أدوات القوة الناعمة الأمريكية التي كانت فعالة ومفصلية في تحديد مصير المواجهة بين المعسكرين: الليبرالي الغربي-

¹Atif: Çiçek, A, op cit, p106

²Karol Bieniek, op cit, p63

³Joseph S. Nye, op cit, p p 04, 05

والاشتراكي الشرقي. كان استخدام الولايات المتحدة الأمريكية لقوتها الناعمة ضد الاتحاد السوفياتي والدول التي تدور في فلكه خاصة دول أوروبا الشرقية محسوسا ومكثفا، ابتداء من استخدام موجات الراديو إبان الحرب الباردة وصولا إلى استخدام الإنترنت مطلع التسعينيات، وهو الأمر الذي أدى لدخول مفهوم القوة الناعمة في حقبة جديدة، فكما هو معروف، أدى تبادل الأفكار ومختلف المؤثرات في الشبكات الاجتماعية مثل تطبيقات "الفاسبوك وإكس..."، عبر الإنترنت إلى إحداث تأثير كبير على بعض الأحداث السياسية الكبرى عبر العالم.¹

المبحث الثاني

مفهوم الدبلوماسية العامة: (الخصائص والأهداف)

في البداية لابد من الإشارة إلى أن الدبلوماسية العامة ليست هي نفسها القوة الناعمة، على الرغم من أن بعض الأشخاص، بما في ذلك مسؤولون يديرون هياكل الدبلوماسية العامة لدولهم، يخلطون بين المفهومين. فالدبلوماسية العامة يمكن تعريفها مبدئيا بأنها عبارة عن جهد اتصالي متعمد يستخدم القوة الناعمة من خلال تقديم معلومات وأمثلة على جوانب القوة الناعمة لأمة ما والتي يعتبرها الجمهور الأجنبي إيجابية.² لقد تم صياغة مفهوم "الدبلوماسية العامة" في عام 1965 باعتباره حقلا أكاديميا في الولايات المتحدة الأمريكية.³ ويُنسب أول استخدام بارز لعبارة الدبلوماسية العامة إلى "إدموند جوليون Edmund A. Gullion"، عميد كلية فليتشر للقانون والدبلوماسية في جامعة تافتس (ماساتشوستس، الولايات المتحدة).⁴ وهو ضابط متقاعد، ومؤسس مركز "إدوارد ر. مورو-Edward R. Murrow" للدبلوماسية العامة،⁵ وهو من وضع "حجر الأساس لمعايير هذا المجال في العصر ما قبل الرقمي. لقد تم تأسيس مركز "مورو" تكريما لمراسل الحرب في الحرب العالمية الثانية ومذيع الأخبار في شبكة سي بي إس، "إدوارد ر. مورو"، والذي أصبح كبير الدبلوماسيين العاملين في عهد الرئيس "جون ف. كينيدي-John F. Kennedy" بصفته مديرا "لوكالة المعلومات الأمريكية". لقد حول مركز "مورو" الأضواء التي كانت تسلطها الدبلوماسية

¹Atif: Çiçek, A, op cit, 112

²William Rugh, American soft power and public diplomacy in the Arab world, **Palgrave Communications**, volume 3, Article number: 16104, (Jan 2017) p02

³أحمد عقيل عبد، الدبلوماسية التقليدية والدبلوماسية الشعبية، مركز رواق بغداد، (26 جويلية 2013)، شوهد، 2024-05-20، أنظر، <https://2u.pw/sDtWT79>

⁴Nancy Snow, **Public Diplomacy**, Oxford Research Encyclopedia, International Studies, (2020), Seen in, 22-06-2024, LOOK, <https://2u.pw/UNaix1RJ>

⁵Nicholas J. Cull, **Public Diplomacy Before Gullion The Evolution Of A Phrase**, **Routledge Handbook Of Public Diplomacy**, Edited By Nancy Snow And Philip M. Taylor (University Of Leeds Published In Association With The USC Center On Public Diplomacy At The Annenberg School, 2009) p19

على أروقة الوزارات المغلقة إلى الأشخاص العاديين الذين كان لهم رأي في الشؤون الخارجية للدولة¹. أصدر مركز "مورو" كتيباً تضمن ملخصاً لمفهوم "جوليون" للدبلوماسية العامة، تناول تأثير الرأي العام على تشكيل وتنفيذ السياسات الخارجية. وهو يشمل أبعاد العلاقات الدولية التي تتجاوز الدبلوماسية التقليدية، وتشكيل الحكومات للرأي العام في بلدان أخرى، والتواصل بين الثقافات، وتفاعل جماعات المصالح لبلد ما مع بلد آخر، وإعداد التقارير عن مخرجات السياسة الخارجية من حيث تأثيرها على مختلف الأوضاع والسياقات السياسية، والتواصل مع الدبلوماسيين والصحافيين الأجانب².

تجاوزت الدبلوماسية العامة أدوات الدبلوماسية الكلاسيكية المعروفة، والتي أعطتها الدول في السنوات الأخيرة أهمية كبيرة، وعلى الرغم من أنها ليست مفهوماً قديماً جداً، إلا أنه يتم تعريفها من قبل بعض الباحثين على أنها الشكل الحديث للدعاية، ولم يكن استخدام "إدموند جوليون" لمفهوم الدبلوماسية العامة صياغة جديدة³ بقدر ما كان استخداماً جديداً لعبارة راسخة. ومن المفارقات أن هذا الاستخدام الجديد للمفهوم القديم كان ضرورياً لأن المفهوم القديم – الدعاية، الذي اعترف "جوليون" بأنه يفضل – قد تراكت عليه الكثير من الدلالات السلبية. باستثناء استخدامه كمرادف للكياسة⁴. وبهذا يمكن تعريف الدبلوماسية العامة بشكل تقريبي بأنها عملية الاتصال التي تستخدمها الدول لعرض أهدافها وسياساتها وقيمها وثقافتها الوطنية للجمهور في الدول الأخرى من أجل دعم أهداف سياستها، وبذلك تجاوزت الدبلوماسية العامة عملية إقناع المسؤولين وصانعي السياسات عبر القنوات البيروقراطية لتتحول إلى عملية إعلام وإقناع الجمهور⁵ خارج الحدود الإقليمية، بشكل مباشر أو غير مباشر⁶. يمكن تقديم ملاحظة عامة حول عمل الدبلوماسية العامة، حيث أنها تتفادى الإشارة علناً لهدفها النهائي، والمتمثل في دفع الرأي العام في البلد المستهدف للضغط على حكومته لتغيير سياستها الخارجية أو الداخلية، وتغليفه بأهداف معلنة من قبيل خلق بيئة منفتحة على الخارج، أو تعزيز المصالح الوطنية⁷. وبالتالي هي، كما يقال، "تشجع الآخرين على الرغبة فيما يريدون. كما تريد أنت"⁸.

¹Nancy Snow, op cit

²Nicholas J. Cull, op cit, p19

³Atif Çiçek, A, op cit, p111

⁴Nicholas J. Cull, op cit, p19

⁵Karol Bieniek, op cit, p62

⁶باسم عبد الرحمن المشاقبة، معجم المصطلحات البرلمانية والدبلوماسية (عُمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، 2011)

ص201

⁷نواف التميمي، الدبلوماسية العامة وتكوين السمة الوطنية النظرية والتطبيق على نموذج قطر (بيروت: الدار العربية

للعلوم ناشرون، ط1، 2012) ص26

⁸Brian Hocking, **Rethinking The 'New' Public Diplomacy**, Edited By Jan Melissen, **The New Public Diplomacy Soft Power In International Relations** (New York, First Published By Palgrave Macmillan Hound mills, Basingstoke, 2005) p 33

إن الفهم العميق لموضوع الدبلوماسية العامة مرتبط في أحد جوانبه المهمة بالقدرة على البحث في جذورها وتطبيقاتها في الدوائر السياسية منذ اعتماد النظم المجتمعية التقليدية وصولاً لنظام العلاقات الدولية الحديث، حيث لم تكن الدبلوماسية العامة مركزاً دائماً للاتصال البشري وحسب، بل كانت جزءاً من آلية الدبلوماسية التقليدية، وكان هناك عدة طرق وأساليب مختلفة لتشكيل ونشر الآراء الإيجابية في المجتمعات، أين استخدم الحكام عبر العصور، في اليونان القديمة، والإمبراطورية الرومانية، والخلافة العربية الإسلامية، والصين والهند ودول آسيا الوسطى، بمهارة أشخاص مستأجرين، شملوا: التجار والمسافرين والعلماء... إلخ، لجمع المعلومات والتحري حول أسلوب الحياة والعادات وأسرار الدول الأخرى وقواتها المسلحة وحجم الثروة. ومن الأمثلة الكثيرة التي يمكن رصدها في بعض ممارسات الدبلوماسية العامة القديمة، ما كانت تشهده الأسواق والأماكن المزدحمة في القرنين العاشر والثاني عشر ميلادي، في جمهورية "نوفغورود" (وهي أكبر دولة روسية في القرون الوسطى، 1136-1478)، حيث تحدث أصحاب المهن الخاصة بصوت عالٍ للحشود عن الشعوب وحياتهم في البلدان الأخرى. وكان هذا النوع من المتحدثين المحترفين حاضرين أيضاً في الخلافة العربية الإسلامية والصين والهند ودول آسيا الوسطى. كما يمكن رصد تلك التحفة النادرة في الأدب العربي، المتمثلة في كتاب "ألف ليلة وليلة"، والتي تنقل لنا صورة عن شعوب البلدان المختلفة وهي علامة على تجذر الدبلوماسية العامة بما يؤثر على الدول الأخرى، وليس شكلاً من أشكال الدبلوماسية التقليدية. هناك عدة تجليات أخرى للدبلوماسية العامة والتي استمرت لعدة قرون سواء في زمن الحرب أو السلام، نذكر منها نموذج الدبلوماسية العامة "الاستعمارية" بالنظر لأثرها الكبير في حياة الشعوب المستعمرة وبلدانهم، فالقوى الاستعمارية في الحاجة للتفاعل مع السكان المدنيين في الأراضي المحتلة¹.

واجه البحث في ملامح الدبلوماسية التقليدية صعوبات، تبدوا طبيعية بالنظر لصعوبة التوثيق التاريخي للمراحل الزمنية القديمة، إلا أنه بعد حدوث تطورات إيجابية على مستوى أدوات البحث العلمي، أصبح الكشف عن ملامح الدبلوماسية الحديثة وكيفية تشكلها عبر الزمن أكثر يسراً، وذلك عبر الاطلاع على التقارير الصحفية والخطاب الدبلوماسي السائد في تلك الفترة، والذي لم يُتمكن من تناولها على نطاق واسع إلا حديثاً، الأمر الذي ساعد على فهم أكثر عمقا لأبعاد مفهوم الدبلوماسية العامة، والأهداف التي تسعى لتحقيقها. ومن ضمن ما كشفه هذا التحقيق العلمي أن الاستخدام الحديث لعبارة "الدبلوماسية العامة" لم يكن في الواقع أمريكياً على الإطلاق كما يعتقد البعض، تبعاً للتطور الكبير الذي شهدته على مستوى المفهوم والممارسة، في الولايات المتحدة الأمريكية فيما بعد، بل في بريطانيا وبالتحديد في مقال رئيسي لصحيفة "التايمز-The Times" اللندنية في جانفي عام 1856، حيث تم استخدامه فقط كمرادف

¹O.Q. Almaronov, The concept, Genesis And Evolution Of Public Diplomacy, **Epra International Journal Of Multidisciplinary Research**, Volume: 6, Issue: 9, (September 2020), p p287, 288

"للسلوك المتحضر"، منتقدا موقف الرئيس الأمريكي "فرانكلين بيرس-Franklin Pierce" السلبي من استمرار ظاهرة العبودية في الولايات المتحدة الأمريكية¹، لهذا صنف من أكثر رؤساء الولايات المتحدة غير الشعبين². وترى الصحيفة، أن "رجال الدولة في أميركا لا بد وأن يتذكروا أنهم إذا أرادوا أن يتركوا انطبعا إيجابيا في نفوسنا، فإن عليهم أن يقدموا مثالا يحتذى به لشعبهم"، ولم يرد في هذا الوقت سوى أمثلة قليلة لنماذج السلوك المعبر عن دبلوماسية عامة ناجحة. وكان أول استخدام استشهدت به صحيفة "نيويورك تايمز-The New York Times" في جانفي 1871، في تقرير تناول مناقشة في الكونجرس الأمريكي، حيث عبر النائب "صمويل إس. كوكس-Samuel S. Cox" (محامي وصحفي ودبلوماسي) بغضب شديد، عن رفضه للمؤامرات السرية لضم جمهورية الدومينيكان، مشيرا إلى أنه يؤمن بـ"الدبلوماسية العامة المفتوحة". وكان هذا الاستخدام بمثابة مقدمة للصياغة الرئيسية للعبارة بعد ذلك³.

في مطلع القرن العشرين، أخذت عبارة الدبلوماسية العامة منحى جديد أكثر وضوحا، حيث أنشأ الرئيس الأمريكي "جورج دبليو. ويلسون-George W. Wilson" في عام 1917 مؤسسة أطلق عليها اسم "لجنة الولايات المتحدة للمعلومات العامة"، وتم تعيين الصحفي الأمريكي "جورج إدوارد كريل-George Edward Creel" لرئاسة هذه المؤسسة، ليطلق عليها فيما بعد "لجنة كريل". وكان الغرض منها، هو جعل مهام الولايات المتحدة في الحرب العالمية الأولى معروفة ومعترف بها -تتمتع بالمشروعية- على الساحة الدولية⁴، وحتى على الساحة المحلية، فقد أدركت إدارة "ويلسون" أنه إذا أعلنت الولايات المتحدة الحرب على ألمانيا، فإن الدعم الشعبي سيكون حاسما لتحقيق النصر، وأن عليه توحيد البلاد وراء حرب تجري على الجانب الآخر من العالم. إن التحدي حسب "كريل"، "هو خوض المعركة من أجل كسب عقول الرجال، ومن أجل غزو قناعاتهم"⁵.

توسع خلال الحرب العالمية الأولى على نطاق واسع استخدام عبارة الدبلوماسية العامة، لوصف مجموعة من الممارسات الدبلوماسية الجديدة، انطلاقا من التصريحات الألمانية المتعاقبة بشأن سياسة حرب الغواصات، مروراً بالإعلانات العامة لشروط السلام، وصولاً إلى رؤية "ويلسون" -المثالية - التي وردت في خطابه "المبادئ الأربعة عشرة" في 8 جانفي 1918، والتي تروج لنظام دولي راسخ، قائم على "موثيق السلام العلنية". فضل العديد من الكتاب في ذلك الوقت عبارة "الدبلوماسية المفتوحة" للتعبير عن هذا التوجه، ولكن عبارة "الدبلوماسية العامة" كان لها أتباعها، ويبدو أنها حصلت على مزيد من الزخم بفضل

¹Nicholas J. Cull, op cit, p19

²Robert G. Ferris, **The Presidents From The Inauguration Of George Washington To The Inauguration Of Jimmy Carter**, (Washington, The National Survey Of Historic Sites And Buildings, Volume Xx, D.C: Rev, Ed. 1977), p147

³Nicholas J. Cull, op cit, p19

⁴Atif Çiçek, A, op cit, p111

⁵Chloe Maxwell, George Creel and the Committee on Public Information 1917-1918, Tenor of Our Times, **Undergraduate Journal**, Harding University Volume 4 Article 8 (Spring 2015) p p 72, 73

التقارير التي تحدثت عن الاستخدام الفرنسي لعبارة "الدبلوماسية العامة- *Diplomatie Publique*". استخدمت صحيفة نيويورك تايمز عبارة الدبلوماسية العامة بتاريخ، 9 ماي عام 1916 في تغطيتها لما يسمى بتعهد "ساسكس-The Sussex"، وهو عبارة عن إعلان أصدرته الحكومة الألمانية في 4 ماي للحد من حرب الغواصات. وفي مراجعة لردود الفعل الأمريكية على هذا التعهد، اقتبست صحيفة نيويورك تايمز من مقالة افتتاحية نشرت في صحيفة "بوسطن هيرالد-Boston Herald" في ذلك اليوم، ما نصه، "إن أحد شروط الدبلوماسية العامة هو ضرورة الاستمرار في كتابة الرسائل، حيث يجب على كل رئيس دولة أن يواجه شعبه وينقل أيضا أهدافه إلى الجانب الآخر". إن هذه الملاحظة تجد صداها اليوم في المشكلات التي يواجهها القادة الآن، بعدما أصبح من الممكن سماع كل تصريحاتهم المحلية في جميع أنحاء العالم. استخدمت صحيفة "واشنطن بوست-The Washington Post" بتاريخ 28 ديسمبر عام 1917 عبارة الدبلوماسية العامة، في مقال مقتبس، هذه المرة من افتتاحية صحيفة "برلينر تاجبلات-Berliner Tageblatt"، والذي كان يعلق على مفاوضات السلام الروسية الألمانية في "بريست-ليتوفسك"، حيث أشار لأهمية الدبلوماسية العامة، بشكل يندرج إلى أنه "لا شيء يمكن أن يهز جدار السلاح مثل "الدبلوماسية العامة الجديدة". وقد استمرت عبارة "الدبلوماسية العامة" بمعناها المثالي الذي يجسده العهد ويلسوني المفتوح طيلة سنوات ما بين الحربين العالميتين في خطابات بعض الشخصيات الأمامية.

خلال فترة الحرب الباردة، وبالتحديد في الخمسينيات من القرن العشرين¹، والتي تميزت بالتنافس بين الغرب والدول الاشتراكية من خلال سياسات إقناع الشعوب الأخرى²، تحول استخدام مفهوم الدبلوماسية العامة بشكل ملحوظ نحو مجال المعلومات والدعاية الدولية. ولم يكن الأمر يتعلق باستخدام المفهوم بشكل مختلف، بل كان الأمر يتعلق بممارسة الدبلوماسية وفهمها بشكل مختلف³، وبما أن الممارسات في هذه الفترة كانت عبارة عن عملية اتصال وسلوكيات أحادية الجانب تقوم بها الحكومة، فمن الممكن تسمية ممارسات هذه الفترة بالدعاية وليس بالدبلوماسية العامة. ومع ذلك، فإن الولايات المتحدة، التي لديها دراسات مهمة حول قضايا مثل الدبلوماسية العامة والقوة الناعمة، فضلت استخدام الدبلوماسية العامة بدلا من الدعاية. وبهذه الطريقة، رأت أنه من المناسب التوصل إلى مفهوم نقي وجدي. هناك ثلاثة أسباب رئيسية وراء تبني الولايات المتحدة الأمريكية لمفهوم الدبلوماسية العامة في فترة الحرب الباردة. أولا، عدم رغبة الولايات المتحدة وصف ممارساتها بأنها دعاية وحرب نفسية. كان يعتقد أن استخدام مفهوم الدبلوماسية العامة من شأنه أن يبين بشكل أفضل ممارساتها المختلفة عن ممارسات الاتحاد السوفياتي. ثانيا، تم الترحيب بإدخال مفهوم يحظى باحترام كبير مثل الدبلوماسية ضمن واجبات

¹Nicholas J. Cull, op cit, p p 20, 21

²Atif Çiçek, A, op cit, p111

³Nicholas J. Cull, op cit, p21

"وكالة المعلومات الأمريكية (USIA)" - وهي عبار عن كيان حكومي أمريكي للتواصل الدولي، امتد وجوده من عام 1953 إلى غاية عام 1999¹، حيث تم نقل ما تبقى منه إلى وزارة الخارجية الأمريكية². ثالثاً، كشفت الدبلوماسية العامة عن مفهوم وحيد للرأي العام الدولي، الأمر الذي مهد الطريق لمركزة المهام التي يتعين تحقيقها في نطاق هذا المفهوم. إن المتغير الأكثر أهمية وتأثيراً في أنشطة الدبلوماسية العامة في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية هو التطور الكبير الذي حدث في مجال وسائل الاتصال، حيث دخلت تقنيات جديدة على نحو سريع إلى حياة الناس العاديين، مثل الراديو والتلفزيون والفاكس ومن ثم الإنترنت، وفي مثل هذا الوضع، يمكن لأي تطور أو حدث ما في أي جزء من العالم أن ينتشر على الفور إلى كل العالم. ابتداء من القرن العشرين اكتسبت الشعوب أساليب ومؤهلات جديدة توافقا والتطورات التكنولوجية المتعددة بالتوازي مع الأنشطة الدبلوماسية³.

في الواقع إن معركة القيم والأفكار التي هيمنت على العلاقات الدولية في النصف الثاني من القرن العشرين تحولت إلى منافسة في مجال القوة الصلبة، وليس العكس، فمنذ عام 1917-1918، كان "ويلسون" و"لينين" يتحديان بعضهما البعض على مستوى القوة الناعمة، قبل فترة طويلة من تحول بلديهما إلى قوى عظمى عالمية وبدأ الاصطدام في المجالين العسكري والاقتصادي، ومع ذلك، استيقظ المجتمع الدبلوماسي متأخراً على التحديات الأساسية المتمثلة في التواصل مع الجماهير الأجنبية بدلا من الحوار الدولي المعتاد مع المسؤولين الأجانب، فالثقافة الدبلوماسية السائدة في نهاية المطاف موجهة بشكل أساسي نحو النظراء، وكان النموذج الواقعي المهيمن على الدوائر الدبلوماسية نتاجا لتاريخ طويل من النظر إلى العلاقات الدولية من زاوية القوة الاقتصادية والعسكرية. إن السؤال المطروح اليوم حول الكيفية التي قد تتمكن بها وزارات الخارجية من استغلال القوة الناعمة، وهو بمثابة اختبار للحدود القصوى لمرونة دبلوماسيتها. على هذه الخلفية، قد لا يكون مفاجئاً أن نرى أن معظم الباحثين لم يعطوا سوى القليل من الاهتمام المنهجي للدبلوماسية العامة. إن ما يستشف من مختلف التعريفات التي تناولت موضوع الدبلوماسية العامة أنها لم تأخذ في الاعتبار التحول الذي طرأ على البيئة التي تعمل فيها الدبلوماسية. إن النظرة الأكثر شمولاً للدبلوماسية باعتبارها، آلية التمثيل والتواصل والتفاوض التي من خلالها تقوم الدول والجهات الفاعلة الدولية الأخرى بإدارة شؤونها، لا تزال تشير إلى بيئة دولية منظمة تتكون من مجموعة من اللاعبين الذين يمكن تحديدهم بوضوح وتحديد أدوار ومسؤوليات الجهات الفاعلة في العلاقات الدولية. لم

¹Atif Çiçek, A, op cit, p111

²Nancy Snow, U.S. Public Diplomacy Its History, Problems, and Promise, **Chapter January 2006, In book: Readings in Propaganda and Persuasion: New and Classic, Essays Edition, Chapter January (2006) p233**

³Atif Çiçek, A, op cit, p p111

تعد هذه الصورة تعكس ما يعيشه عالم ما بعد الحداثة الأكثر غموضاً في قضايا العلاقات العابرة للحدود الوطنية¹.

المبحث الثالث

التحديات المعاصرة للدبلوماسية العامة: (مأزق الدبلوماسية العامة الأمريكية)

يندرج مأزق الدبلوماسية العامة الأمريكية والذي لم يعد خافياً، ضمن ذلك النقاش الدائر حول التحديات المعاصرة للدبلوماسية العامة بشكل عام، والتي يمكن ترجمتها في ذلك التناقض بين الفائدة من القوة الصلبة والقوة الناعمة بل أصبحت بنداً أساسياً في الأسئلة المطروحة حول أهمية الدبلوماسية العامة. هناك من أدرج الحجج المتعلقة بحدود القوة الصلبة أو العسكرية والمزايا التي يمكن أن تنجم عن استخدام القوة "الناعمة"، ضمن الافتراضات الأساسية للمدافعين عن تعزيز دور الدبلوماسية العامة. في الاتجاه نفسه خلص "معهد آسبن-The Aspen Institut"، بعد عقده لمائدة مستديرة حول موضوع القوة الناعمة، إلى أن الأخيرة تدعم ممارسات القوة العسكرية والاقتصادية، إلا أن الاستخدام المتغطرس أو غير العادل للقوة الصلبة يمكن أن يؤدي إلى تآكل القوة الناعمة². وهو الأمر الذي يتساق مع نتائج استطلاعات الرأي التي تبحث في حدود فاعلية الدبلوماسية العامة، حيث أقرت بحقيقة المأزق الذي يمكن أن تقع فيه الدبلوماسية العامة، في حالة ما إذا كانت تعمل بمعزل عن الإستراتيجية الشاملة للسياسة الخارجية للدولة والمتضمنة استخداماً مفرطاً للقوة الصلبة. يمكن اعتبار تجربة الدبلوماسية العامة الأمريكية مثالاً نموذجياً لرصد حدود التناقض بين القوة الصلبة والناعمة، فعلى سبيل المثال، أقر مجلس العلاقات الخارجية الأمريكي - وهو منظمة أمريكية تمثل وحدة تفكير مستقلة هدفها تحليل السياسة الخارجية الأمريكية- بأن الدبلوماسية العامة لا تعمل بشكل جيد، بل هي في حاجة إلى المزيد من الاهتمام على المستوى الاستراتيجي. واستناداً إلى استطلاع للرأي أجرته "مؤسسة غالوب" في عام 2002 في تسع دول إسلامية، خلص المجلس إلى أن الولايات المتحدة تعاني من مشكلة تتعلق بصورتها في الخارج، وهو ما قد يعوق حزمها على ما يسمى بالإرهاب³.

مثلت أحداث 11 سبتمبر 2001 منعطفاً حاسماً في طريقة وحجم الاهتمام بالدبلوماسية العامة. على خلفية العلاقة المضطربة بين العالم الإسلامي والغرب، فضلاً عن "الحرب على الإرهاب" التي أعلنها الرئيس الأمريكي "جورج والكر (دبليو) بوش George W. Bush". ومن الدروس المستفادة من الدبلوماسية العامة

¹Jan Melissen, **The New Public Diplomacy: Between Theory And Practice**, Edited By Jan Melissen, **The New Public Diplomacy Soft Power In International Relations**, (New York, Palgrave Macmillan Houndmills, Basingstoke, Hampshire RG21 6XS And 175 Fifth Avenue, First Published, 2005), p p 04, 05

²Brian Hocking, op cit, p33

³Michael J. Zwiebel, why we need to reestablish the usia, **Military Review**, (November-December 2006) p136

الأمريكية، أنه لا يمكن تحقيق أهداف الدبلوماسية العامة إذا كانت تتعارض مع السياسة الخارجية لبلد ما أو أعمالها العسكرية. إن سياسات الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط أو تواجدها العسكري في العراق، على سبيل المثال، يعمل على تقويض مصداقية دبلوماسيتها العامة¹. وهنا طرح السؤال الأكثر جدلاً وإثارة، "لماذا يكرهوننا إلى هذا الحد؟"، كان هذا السؤال مثيراً للقلق، وبعد تجربة ميدانية توصلت الولايات المتحدة الأمريكية لقناعة بضرورة إعادة تعريف الحرب التي تخوضها، من حرب عالمية على الإرهاب باستعمال الأدوات الصلبة لتصبح حرباً طويلة لاستمالة القلوب والعقول، والتي لا يمكن كسبها إلا في شكل "حرب معلومات" وليس بالسبل العسكرية فقط². يكشف لنا هذا التحليل فشل الدبلوماسية العامة الأمريكية - على الأقل في استهداف جمهور الدول العربية والإسلامية-، كنتيجة حتمية لتناقض خطابها الأخلاقي مع ممارستها في الواقع، ففي خطابها بشأن موضوع الديمقراطية مثلاً، التي تسعى من المفروض لنشرها في العالم، رافقها في الآن نفسه سلوك معاكس يروج للحروب في أفغانستان والعراق ودعم لإسرائيل في حروبها ضد الفلسطينيين. وفي الوقت الذي كانت تقدم دعماً وتأييداً مخلصاً للأنظمة الاستبدادية لفترات طويلة في المنطقة العربية، يُحرم على الأحزاب المنتخبة ديمقراطياً من حقها في الوصول للسلطة، ويمكن أن نعطي مثلاً عن الانتخابات التي فازت بها "حركة حماس" في غزة عام 2006، ناهيك عن العديد من القضايا الأخرى المثيرة للجدل، مثل قضية. رفض الولايات المتحدة الانضمام إلى المحكمة الجنائية الدولية، وانتهاكها لمعايير حقوق الإنسان في معاملة السجناء في خليج غوانتانامو، والدعم الذي لا يلين على ما يبذروا لإسرائيل سواء خرقت القوانين الدولية أم لا³، والذي يمكن معاینته على نحو جلي وواضح طيلة الحرب الإسرائيلية على غزة بعد عملية السابع من أكتوبر 2023- التي قامت بها فصائل المقاومة الفلسطينية ضد المستوطنات الإسرائيلية-، حيث تعززت صورة الولايات المتحدة كدولة إمبريالية لا تعير اهتماماً كبيراً للقوانين الدولية، فقد دعمت بقوة الهجوم الانتقامي الوحشي الذي شنته إسرائيل على غزة. فبفضل الحماية الأمريكية، أصبحت إسرائيل حرة في تنفيذ ما يرقى إلى مستوى جرائم الحرب الواسعة النطاق⁴.

وفقاً لما نشره "مؤشر مدركات الديمقراطية" لعام 2024، فإن شعبية أمريكا كقوة عالمية تتضاءل في جميع أنحاء العالم، وخاصة في البلدان ذات الأغلبية المسلمة. فقد زاد تضرر سمعة الولايات المتحدة الدولية منذ أوائل عام 2023، حيث أثبت دعم الولايات المتحدة الثابت لإسرائيل في حربها على غزة أنه مثير

¹Jan Melissen, op cit, p p 06, 07

²Philip M. Taylor, **Public Diplomacy and Strategic Communications**, Routledge Handbook of Public Diplomacy, Edited By Nancy Snow And Philip M. Taylor (University Of Leeds Published In Association With The USC Center On Public Diplomacy At The Annenberg School, 2009) p12

³Rianne van Doeveren, Power and the Evolution of Public Diplomacy, **Clingendael Institute**, (2011) p p06, 07

⁴Tom Stevenson, **America's undying empire: why the decline of US power has been greatly exaggerated**, The Guardian Journal, (Nov30, 2023), Seen in, 21-08-2024, LOOK, <https://2h.ae/RwDG>

للانقسام الشديد. وقد امتد هذا الاتجاه السلبي الآن، إلى أوروبا، إذا يرى "فريدريك ديفو- Frederick DeVeaux" الباحث البارز في "شركة لاتانا للمسح-Latana survey company" أنه وفقا للمؤشرات التي جمعتها الشركة، عادت التصورات السلبية في العديد من دول أوروبا الغربية عن الولايات المتحدة. منذ وصول إدارة الرئيس الأمريكي "جوزيف روبينيت بايدن- Joseph Robinette Biden" إلى الحكم، و(من المرجح أن تتفاقم مع الرئيس "دونالد جون ترامب-Donald John Trump"). إن حساب اتجاهات الرأي لمختلف المجتمعات في العالم على تباينها ليس مجرد مسابقة شعبية عالمية، بل إن المواقف المعبر عنها يمكن أن تؤثر على قدرة الحكومات على ردع عدوان القوى العالمية أو الرد عليها¹.

إن المحددات الذي تحكم منطق السلوك الأمريكي، هي في أحد أهم جوانبها المفصلية انعكاس لمسار فكري نجد ما يقوضه في محتوى فلسفة الدبلوماسية العامة الأمريكية المعاصرة، والتي رعتها جزئيا أفكار "جوزيف ناي" حول "القوة الناعمة"، أي أنه بمجرد أن "تعرفنا يعني أنك ستحبنا" وأن كونك جذابا يكفي لجعل الآخرين يريدون أن يكونوا مثلك. وهنا يمكن أن نعطي مثالا عن المجموعة التي قامت بهجمات 11 سبتمبر، فهم يعرفون الغرب جيدا، حيث تلقى العديد منهم تعليما على مستوى عال في أوروبا وسافروا إلى الولايات المتحدة. لقد كانوا من الجمهور المستهدف بعمليات الدبلوماسية العامة التقليدية، أي أنها من النخب المتعلمة التي كان يتوقع أن تصبح ذات يوم محركا ومؤثرة في مجتمعها، لقد عرفوا كل شيء عن القيم الغربية من خلال مشاهدة التلفزيون والأفلام، وبدل الانجذاب للقيم الغربية حدث العكس، فقد رأوا كيف أصبحت المجتمعات الغربية أكثر تسامحا مع المخدرات، والطلاق، والعلاقات خارج إطار الزواج، والمثلية الجنسية. لقد سخرروا من المفاهيم الأنجلو-أمريكية المتمحورة حول "كونهم قوة من أجل الخير" في العالم وتجاهلوا التدخلات العسكرية "الإنسانية" الغربية نيابة عن المسلمين في البوسنة وكوسوفو، وبدلا من ذلك ركزوا على الانتهاكات الغربية للإسلام من خلال دعم إسرائيل في الشرق الأوسط، أو العقوبات المفروضة على العراق، أو إرسال قوات "كافرة" إلى الأراضي المقدسة في مكة أثناء عملية عاصفة الصحراء. لقد بات من الواضح أن هذه الأحداث جعلت مهمة الدبلوماسية العامة أكثر صعوبة وأطول تحقيقا لأهدافها. لقد عززت التدخلات العسكرية في أفغانستان والعراق والدعم اللامحدود لإسرائيل في حربها على الفلسطينيين الاعتقاد السائد بأن الغرب، بقيادة الولايات المتحدة، منخرط في "صراع الحضارات" أو "الحملة الصليبية" ضد العرب والإسلام. ليس من السهولة بمكان أن يغير الغرب من هذا التصور في أذهان بعض الناس أو ينكروه، ففي نهاية المطاف، ألم يصف الرئيس "بوش" ذاته في مستهل ما يسمى بالحرب ضد

¹ Lucia Mackenzie And Giovanna Coi, **US Popularity Shrinks Worldwide, New Report Says Washington's staunch backing for Israel's war in Gaza likely hurt its popularity**, Politico Newspaper, (MAY8, 2024), Seen in 19-08-2024, LOOK, <https://2u.pw/0PtmJE5c>

الإرهاب بأنها "حملة صليبية"¹؟ لقد كان من الواضح أن الدبلوماسية العامة الأمريكية تسير في اتجاه واحد، فهي تفتقر للتبادلية. إن الفشل في وضع المحتوى والسياق والجمهور الأجنبي المستهدف في قلب معركة كسب القلوب والعقول، من الممكن أن يؤدي بسهولة إلى نتائج هدامة².

ظهر في الأوساط الأكاديمية، جيل جديد من الباحثين في حقل الدبلوماسية العامة، المتخصصين في مجالات مثل، التاريخ والسياسة ودراسات الاتصالات والعلاقات العامة، وبدأوا العمل كمستشارين للدبلوماسيين الممارسين، الذين من وجهة نظرهم، كانوا بحاجة إلى تدريب وإرشاد لكيفية عمل الدبلوماسية العامة الجديدة، وانتقدوا الممارسات الحكومية الحالية التي تصور الدبلوماسية العامة على أنها مجرد أداة للقوة الناعمة³ المتمحورة حول الدولة والقادرة على التأثير بشكل مباشر على الشعوب الأجنبية. فرض هذا التطور إعادة النظر في طريقة عمل الدبلوماسية العامة. من هنا برزت الحاجة، لإعادة الباحثين المتخصصين في القوة الناعمة التأكيد على حاجة الدبلوماسية العامة للمزاوجة بين القوة الصلبة والقوة الناعمة في استراتيجية واحدة، أطلق عليها مفهوم القوة الذكية القائمة على الذكاء الذي يراعي السياق الذي يطبق فيه، وتكمن حجتهم في أن الجمع المثالي بين قاعدتي القوة يكمن في الموازنة بين أسلوب التقليل من الاعتماد على القوة الصلبة وتكاليفها والمساعدة على تعزيز التعاون لكسب القلوب والعقول. وفي هذا المفهوم الجديد للقوة الذكية، تشير اللجنة التي شكلها مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية (CSIS) والتي ترأسها "ريتشارد أرميتاج- Richard Armitage" و"جوزيف ناي - Joseph Nye" بأن استراتيجية القوة الذكية الشاملة يمكن أن تعزز إلى حد كبير السمعة عندما يُنظر إلى السياسات المتبعة على أنها ذات مصداقية ومشروعة. عندما لا يقتصر الهدف على المصالح الوطنية (الأمنية) الضيقة، بل يشمل مصالح الجمهور الأجنبي، فمن المرجح أن تصبح جهود الدبلوماسية العامة أكثر شرعية وفعالية. وبعبارة أخرى، ينبغي لها أن تخدم المصالح المتبادلة⁴، فهي عملية ذات اتجاهين، تعتمد في المقام الأول على فهم عقول الآخرين واستعداد مفاهيمهم⁵.

خاتمة:

جاء تناول موضوع الدبلوماسية، والدبلوماسية العامة على الخصوص، كحقل أكاديمي متأخرا بالمقارنة بمسار ممارستها الطويل، والذي يقرن عادة بظهور الوحدات السياسية بغض النظر عن أشكالها

¹Philip M. Taylor, op cit, p 12, 13

²Rianne van Doeveren, op cit, p07

³Jan Melissen, Beyond the New Public Diplomacy, **Clingendael Papers**, No 3, Netherlands Institute OF International Relations Clingendael (October 2011) p09

⁴Rianne van Doeveren, op cit, p08

والتي تتنافس على الموارد الموزعة في الفضاء السياسي الخارجي الذي تعمل فيه. ورغم أن الاهتمام العلمي بموضوع الدبلوماسية بمختلف أنماطها، كان بطيئاً إلا أن الاعتراف بأهميتها كتخصص قائم بذاته أصبح أمراً مسلماً به. لقد أدى التحول في البنية الاستراتيجية للعلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية - والتي من أهم مؤشرات بروز الفواعل الدولية العابرة للحدود، والتطور المتنامي في أدوات الاتصال - إلى بروز اتجاه قوي يدفع لاستخدام أوسع للدبلوماسية العامة في السياسة الخارجية عبر تأطير القوة الناعمة للدول بما يمكنها من مخاطبة طيف واسع من الجمهور الأجنبي والتأثير فيهم وصولاً لمحاولة تغيير قناعاتهم، بما يعني بناء علاقات وثيقة وأكثر استمرارية، متجاوزة الأطر المؤسسية التقليدية.

تمثل الدبلوماسية العامة إطاراً جديداً لعمل الدبلوماسيين الذين ألفوا العمل وفق أطر تقليدية استقرت في وعيهم لفترات طويلة، لهذا لا يشعرون بالراحة في هذه الأجواء غير المعروفة لديهم بالمقارنة بما تُوفره لهم المؤسسات الرسمية للدبلوماسية من بيئة آمنة للعمل. إلا أن النتائج التي يحققونها في ظل المعطيات الجديدة تفرض عليهم هذا النهج. يبين هذا الوضع مدى قدرة الدبلوماسية على التكيف مع التحولات التي يشهدها العالم، وأن الدبلوماسية العامة اختصاص راسخ في إدارة العلاقات الدولية بما تمتلكه من قواعد خاصة، وأنها ليست مجرد ظاهرة عابرة.

إن التعقيدات التي تفرضها ممارسة الدبلوماسية العامة تقتضي الحذر في التعامل مع الجمهور الأجنبي المتعدد الثقافات، وما يرتبط بها من صعوبات عند محاولة إيصال رسالة ذات مصداقية، فالأخيرة هي رأس المال الذي يجب على الدبلوماسية العامة المحافظة عليه. ومن الأهمية بمكان أن تكون توقعاتنا بشأن الدبلوماسية العامة متواضعة، فلا يمكن أن نتوقع منها أن تقلب الرواية والمشاعر بشأن الأحداث الجارية رأساً على عقب، ولا يجب أن يكون تفكيرنا رغباوياً، فعملها يجب أن يكون منصفاً أكثر على بناء الأرضية التي تساعدنا على معالجة مشكلات المستقبل.

تعتبر الدبلوماسية العامة الأمريكية نموذجاً رائداً في العالم، ولا يمكن إنكار قوة تأثيرها في المجتمعات العالمية من حيث الترويج للقوة الأمريكية الشاملة، وفرض شرعية دورها في هيكلة النظام الدولي ومعالجة أزماته، والدفاع عن مصالحها التي تعرفها هي بنفسها، مستندة في ذلك لموارد قوتها الناعمة الضخمة والمتنوعة والمتجددة. إن المعضلة التي يمكن أن تقع فيها أي إستراتيجية للدبلوماسية العامة هو تناقضها مع الأهداف الحيوية للدولة، أو توجهاتها الإيديولوجية. وهو ما يوقعها في معضلة التناقض بين ممارسات القوة الصلبة وأهداف القوة الناعمة. في هذا السياق لا يمكن الإنكار بأي حال من الأحوال المعضلة التي تعيشها الدبلوماسية الأمريكية، فقد تضررت الصورة الأخلاقية للولايات المتحدة على المستوى الإستراتيجي في العالم وفي منطقة الشرق الأوسط على الخصوص، والتي لا يمكن ترميمها باتباع نفس الإستراتيجية القديمة، فالأمر يحتاج إلى تغيير إستراتيجي على المدى الطويل. وهذا ما يحيلنا إلى معضلة أخرى محتواها، بُعد المسافة

ما بين الواقع والمأمول. إن مهمة الاتصال الإستراتيجي للدبلوماسية العامة كان يمكن أن يكون سهلا لو كانت عواقب استخدام القوة الصلبة مدروسا على المدى البعيد.

إن تعقد طريقة بناء الخيارات الكبرى للسياسة الخارجية للدول، هو الواقع الذي يصنع مخرجاتها، التي تبدوا في كثير من الأحيان للمتابع السطحي متناقضة، ولكنها تمثل للمتابع النبيه منطقا ما حتى وإن كانت بالنسبة له غير مشروعة. وهنا يأتي دور الدبلوماسية العامة في عملية التمهيد لتقبل نهج السياسة الخارجية مهما كانت خياراتها، والتسويق لمحتواها حتى تصبح مفهومة ومُتفهمة من طرف الجمهور الأجنبي، وفي بعض الأحيان جعله يتبناها. وعلى كل حال لم تكن السياسة الخارجية مثالية المخرجات في يوم من الأيام، لهذا يجب أن تُفهم في هذا السياق، حتى وإن حاول بعض الباحثين تقديم أفضل النماذج النظرية لبناء إستراتيجية متكاملة للسياسة الخارجية الناجحة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: باللغة العربية

(1) الكتب

-باسم عبد الرحمن المشاقبة، معجم المصطلحات البرلمانية والدبلوماسية (عُمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، 2011)
-نواف التميمي، الدبلوماسية العامة وتكوين السمة الوطنية النظرية والتطبيق على نموذج قطر (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2012)

(2) أوراق بحثية

-علي بكير، نحو إطار نظري في صناعة القوة الناعمة، سياسات عربية العدد 53، المجلد9، (نوفمبر 2021)

(3) مقالات منشورة على الأنترنت

-أحمد عقيل عبد، الدبلوماسية التقليدية والدبلوماسية الشعبية، مركز رواق بغداد، (26 جويلية 2013)، شوهده، 20-
2024-05، أنظر، <https://2u.pw/sDtWT79>

ثانيا: المراجع باللغة الإنجليزية

1)Books

- Brian Hocking, **Rethinking The 'New' Public Diplomacy**, Edited By Jan Melissen, **The New Public Diplomacy Soft Power In International Relations** (New York, First Published By Palgrave Macmillan Hound mills, Basingstoke, 2005)
- Giulio M. Gallarotti, **Soft Power: What It Is, Why It's Important, And The Conditions For Its Effective Use, International Relations: A Synthesis Of Realism, Neoliberalism, And Constructivism** (Cambridge University Press, 2010)
- Jan Melissen, **The New Public Diplomacy: Between Theory And Practice**, Edited By Jan Melissen, **The New Public Diplomacy Soft Power In International Relations**, (New York, Palgrave Macmillan Houndmills, Basingstoke, Hampshire RG21 6XS And 175 Fifth Avenue, First Published, 2005)

- Nicholas J. Cull, **Public Diplomacy Before Gullion The Evolution Of A Phrase, Routledge Handbook Of Public Diplomacy**, Edited By Nancy Snow And Philip M. Taylor (University Of Leeds Published In Association With The USC Center On Public Diplomacy At The Annenberg School, 2009)
- Philip M. Taylor, **Public Diplomacy and Strategic Communications, Routledge Handbook of Public Diplomacy**, Edited By Nancy Snow And Philip M. Taylor (University Of Leeds Published In Association With The USC Center On Public Diplomacy At The Annenberg School, 2009)
- Robert G. Ferris, **The Presidents From The Inauguration Of George Washington To The Inauguration Of Jimmy Carter**, (Washington, The National Survey Of Historic Sites And Buildings, Volume Xx, D.C: Rev, Ed. 1977)

2) Working Papers

- Atıf Çiçek, A, Soft Power, Public Diplomacy And Public Diplomacy Techniques: A Conceptual Evaluation, **Turkish Business Journal**, 2717-848x (2022)
- Chloe Maxwell, George Creel and the Committee on Public Information 1917-1918, Tenor of Our Times, **Undergraduate Journal**, Harding University Volume 4 Article 8 (Spring 2015)
- Jan Melissen, Beyond the New Public Diplomacy, **Clingendael Papers**, No. 3, Netherlands Institute Of International Relations Clingendael (October 2011)
- Joseph S. Nye, Soft Power: The Evolution Of A Concept, **Journal Of Political Power, Taylor & Francis Group** (10 Feb 2021)
- Karol Bieniek, Özgün Erler Bayır, Public Diplomacy And Soft Power In Polish Foreign Policy Making, **Journal Of Political Sciences**, 31, Special Issue On Polish Foreign Policy In 21st Century (2022)
- Michael J. Zwiebel, why we need to reestablish the usia, **Military Review**, (November-December 2006)
- Nancy Snow, U.S. Public Diplomacy Its History, Problems, and Promise, **Chapter January 2006, In book: Readings in Propaganda and Persuasion: New and Classic, Essays Edition**, Chapter January (2006)
- O.Q. Almardonov, The concept, Genesis And Evolution Of Public Diplomacy, **Epra International Journal Of Multidisciplinary Research**, Volume: 6, Issue: 9 (September 2020)
- Rianne van Doeveren, Power and the Evolution of Public Diplomacy, **Clingendael Institute**, (2011)
- Robert ŁOŚ, Power Of The State : A Theoretical Approach, **Historiai Polityka, Papers**, (N O42 (49) (2022)
- William Rugh, American soft power and public diplomacy in the Arab world, **Palgrave Communications**, volume 3, Article number: 16104, (Jan 2017)

3) Articles In Internet

- Lucia Mackenzie And Giovanna Coi, **US Popularity Shrinks Worldwide, New Report Says Washington's staunch backing for Israel's war in Gaza likely hurt its popularity**, Politico Newspaper, (MAY8, 2024), Seen in 19-08-2024, LOOK, <https://2u.pw/0PtmJE5c>

- Nancy Snow, **Public Diplomacy**, Oxford Research Encyclopedia, International Studies, (2020), Seen in, 22-06-2024 LOOK, <https://2u.pw/UNaix1RJ>
- Tom Stevenson, **America's undying empire: why the decline of US power has been greatly exaggerated**, The Guardian Journal, (Nov30, 2023), Seen in, 21-08-2024, LOOK, <https://2h.ae/RwDG>